الإمَامُ الصَّادِقُ عليه السلام

وَالثَّوْرَةُ الإصْلاحِيَّة

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣٢ هـ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيمِ

سورة التوبة/ الآية ١١٩

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده والصلاة والسلام على خير خلقه وأمينه محمد المصطفى وعلى آله الأطهار، أصفيائه وأحبائه واللعن الدائم على أعدائهم من الأولين والآخرين وبعد..

لقد جاء الإسلام بمبادئه وقيمه ليضمن وضعاً فكرياً يؤدي إلى تطور حالات الإنسان وتقدمه حضارياً ويدعُو من له قدرة الفكر السليم وموهبة العلم إلى اغتراف أنواع المعرفة والحكمة والأخذ بمضامين رسالته، فكان التفاعل الفكري والإبداع العلمي سمة المجتمع المسلم في صدر الرسالة، وصفة الدعوة المحمدية التي غيرت أوضاع الإنسانية وأحدثت الثورة في حياة الشعوب التي آمنت بها وانتمت إليها، برزت بعد ذلك عناصر كثيرة تقف بوجه ذلك التطور والتقدم الفكري لعدم حصولهم على موقع قدم في الأمة وذلك لارآئهم المنحرفة المضلة وأمام ما بلغه المسلمون من مستوى فكري، وكان الجمود الفكري أقرب إلى الجهلة وذوي المصالح والأفكار الفاسدة، فلقي المفكرون ضروباً من المقاومة العنيفة والجفاء الظاهر لكي يعيق وعيهم ويمحي أثرهم حتى تتاح لهم فرص نشر الفرقة والفتنة ليغطوا جهلهم ويحققوا لأنفسهم مكانة على حساب وحدة المسلمين ومصالحهم.

الإمام الصادق عليه السلام:

هـو جعفـر بن محمد بـن علي بن الحسـين بن علـي بن أبي طالـب عليهم السلام سـادس أئمة أهـل البيـت عليهم السلام وهو العلـم الناطق، والإمـام الصـادق، والهمام السـابق، صـاحب عظيم الحسـنات، والمعصـوم عن السـيئات النور الزاهـر والبحر الزاخـر أبو عبد الله جعفـر الصادق بن محمد الباقـر عليهما السلام، وهو صاحب الولاية وولي أمر المسلمين وهو الإنسان الكامل الذي اختاره الله تعالى لتطبيق ذلك النظام المقدس في عصره.

تحمّـل الإمـام الصـادق عليه السلام مـن عظيـم المسـؤولية وصعوبة مـا أحـاط به مـن أوضاع مؤلمـة وقاسـية،أنتهج فيهـا الإصلاح الروحي وهو يعيش ظروفا سياسـية يتوقع بها الأذى كل حين، فكان الإمام عليه السلام يتجه إلى المسلمين فيشاركهم أحوالهم ويعمل علـى إبقـاء نظام الديـن في الحياة، كما أنـه كان على حذر من نقمة الحكام الذين تعددت وسائل مراقبتهم له وعيون رصدهم ومضايقتهم.

قـال مالـك بـن أنس في حـق الإمـام الصـادق عليه السلام جعفر بن محمـد: اختلفت إليه زماناً فما كنـت أراه إلا على إحدى ثلاث خصـال: إما مصلّ وإمـا صائم وإما يقرأ القـرآن، وما رأت عين ولا سمعـت أذن ولا خطـر على قلب بشـر أفضـل من جعفر بن محمد الصادق علماً وعبادة وورعاً[1].

(١) الخلاف/ الشيخ الطوسي/ ج١ ص٣٣.

الإمام الصادق عليه السلام مصلحاً

كان الإمام الصادق عليه السلام خير داعية للإصلاح لما اتصف به من صدق القول ومثابرة العمل، فاتخذ موقف المصلح المتسلح بالإيمان بالله ونشر تعاليمه وبث الوعي الإسلامي بالقوة الروحية التي هي أقوى العوامل في الالتزام الديني والسعي إلى الخير، لأن المجتمع الإسلامي حسب تعاليمه ونظمه لا يقوم إلا على الإيمان بالله بعقيدة راسخة ومنه تنبعث القوة الروحية لأداء الواجب والشعور بالمسؤولية والتضامن بين الإفراد والتكافل الاجتماعي وبذلك يسعد المجتمع وينعم أفراده، فكلما ازداد الإيمان بالله ازداد العمل الصالح واكتسبت دعوة المصلح قوة صمود وقدرة اجتياز العراقيل والعقبات وبذلك تهون المخاطر التي تحوط الدعوة وتهددها.

صولات الإمام عليه السلام:

على الرغم من شدة وقوة المراقبة ورصد تحركات الإمام الصادق عليه السلام وسط الأمة، وفي وقت ترقّب وقوع الحوادث،كانت الأمة تمر بين مرحلتين، أولهما ضعف الدولة الأموية وضربها بشدة معارضيها والناقمين على سلطتها وثانيهما قوة الدولة العباسية التي بسطت نفوذها بشعارات تنطق بالرضا لآل محمد صلى الله عليه وآله، فكان للإمام الصادق عليه السلام صولات وجولات وبيد جذاء لقلة أعوانه فهو يراقب الأحداث عن كثب ويشارك

الأمـة ما تحملتـه من عناء وآهات، ولم يكـن عليه السلام ليترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرشاد الناس وحثهم على مقاطعة الظلمـة وعـدم الركون إليهـم ويدعـو الأمـة إلى الاتحاد ضد أولئـك الظلمـة الطغـاة امتثالاً لقولـه تعـالى (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ)[1].

لقد حرص الإمام الصادق عليه السلام على نشر وبث أقواله ونصائحه بين طبقات ذلك المجتمع بصفته إمام زمانه ويواصل جهاده في سـبيل الدعوة الإصلاحية، ليفك أسر الأمة من يد من أفسدوا ذلك المجتمع الصالح وقد عاش عليه السلام مدة تزيد على نصف قرن عاصـر فيهـا كثيراً من الحـكّام، فما ركن لهم وما اسـتطاعوا أن يستميلوه ليوهموا الناس أن ولايتهم شرعية.

وكان من صولاته عليه السلام أن اتسـعت دائرة انتشار العلوم والوعي الاجتماعـي والسياسـي فتحـرك المجتمـع إلى رفـض القيـود المفروضـة ومعـاداة السـلطات الجائـرة فنتجت عـن ذلك عدة انتفاضـات وثـورات زلزلـت عروش طغـاة بني أميـة واضطراب حكومة بني العباس.

بناء القاعدة الصالحة

لم تكـن عمليـة بنـاء أو إيجـاد القاعـدة الـتي تأخـذ علـى عاتقهـا حمل الرسـالة وتحمـل أعباء التغيـير بالأمر الهين في

(١) هود/ آية ١١٣.

تلـك الظروف العصيبة، لقد كان ذلك مطلبا قرآنيا سـعى إلى تحقيقه الرسـول الأعظم ﷺ وباشـر بنفسه هذا البناء وأوجد تلـك القاعـدة، وأن الإمـام علي بـن أبي طالـب عليه السلام عمل على تكملة ما أوجده الرسـول ﷺ وثابر على تفعيلها وتوسـيعها في المجتمـع المسـلم، فنتج عن ذلك ثلة طيبة خـيرة أمثال (مالك الأشـتر، وهاشـم المرقال، ومحمد بن أبي بكر، وحجر بن عدي، وميثـم التمـار، وكميـل بن زيـاد، وعبـد الله بن عباس، ورشـيد الهجـري، وقنبر) وغيرهم مـن المؤمنين الصالحـين حقاً، فكان لهم الدور الكبير في الصراع الذي خاضه الإمام مع مناوئيه.

اسـتمر البناء وفعاليته في عصر الإمامين الحسـن والحسـين عليهما السلام ثم تقلص البناء وكاد أن ينتهي بعد عصر الإمام الحسـين عليه السلام، مما دعا الإمام السجاد عليه السلام إلى إكمال ما بدأه آباؤه، فعمل بمـا لديـه من مخلصـين في بنـاء جماعة صالحة وفـق منظور جديد ورؤيا بعيدة، وحوّل العاطفة إلى ولاء حقيقي وذلك من خـلال تفاعله مع أفـراد المجتمع المسـلم.. وفي عهد الصادقين عليهما السلام توسـعت هـذه القاعدة وتكاملت وباتسـاعها توسـعت دائرة العمـل المطلوب وتطويره وبلوغ الأهداف المنشـودة التي تمثلت بالدفاع عن المجتمع المسلم وحفظ الشريعة.

دور الإمام الصادق عليه السلام في بناء هذه القاعدة

أكد الإمام الصادق عليه السلام على أمرين لبناء الجماعة الصالحة التي من شأنها أن تلتف حول القيادة الإلهية، لكي تسود الفضيلة في المجتمع وتعم السعادة والرفاهية بين أفراده، والأمرين هما:

عمّق الإمام الصادق عليه السلام صلته بالقاعدة التي يسعى بها لتحقيق التغيير والإصلاح، وبيّن لهم صفات من سبقهم من المؤمنين أصحاب جده وآبائه الذين عانوا أنواع الاضطهاد والعذاب في سبيل استمرار مسيرة الإسلام والمسلمين وكذلك ترسيخ الكمالات الإنسانية التي غيبها الظلمة من المجتمع المسلم.

شحذ همم المؤمنين وتربيتهم على روح الصبر وقوة المقاومة حتى تمتلك القدرة على مواصلة العمل في سبيل الله تعالى ومواجهة التحديات المستمرة وعدم الضعف أمام الإغراءات والضغوط التي قد يتعرضون إليها.

دوافع الثورة الإصلاحية

من أهم دوافع وأسباب الثورة الإصلاحية التي يترأسها أئمة الهدى عليهم السلام ومن بينهم الإمام الصادق عليه السلام الذي ترأس حركة الإصلاح والثورة. في العصرين الأموي والعباسي. ومن تلك الدوافع:

١. الوضع الفكري:

برزت ظواهر فكرية وعقائدية في عصر الإمام الصادق عليه السلام مثل الزندقة والغلو والاعتزال وا لجبر والرأي، وعنها نتجت صيغ جديدة لفهم الرسالة في شتى المجالات كالفقه و التفسير والحديث وعلوم القرآن وغيرها، وهذا المنهج خطه ووضع منهجه بنو أمية ومن سبقهم من الحكام، أدى ذلك إلى اختلال الموازين والقيم والابتعاد عن الفهم الصحيح للقرآن الكريم والسنة والركون إلى الرأي والاستحسان التي لا تنهض على قانون علمي.

التحريف:

انتشرت ظاهرة التحريف بشكل واضح وابتعد الناس عن المنهج الحق الذي وضعه الرسول الأكرم والأئمة الهداة (صلوات الله عليهم أجمعين) فنتج عن ذلك ما يلي:

أ . التحريف في تفسير القرآن: حيث كان التعامل مع النص القرآني وتفسيره بما يعضد آراء المذاهب المتفرقة والفرق المختلفة وكل يذهب بالنص بما يخدم مصا لح مذهبه أو فرقته.

ب. تحريف السنة النبوية: كان بسبب منع تدوين الحديث والتشديد على ذلك في العصر الأموي الذي لم يدع مجالا لإشباع غرائزه إلا وابتدع لها حديثا، وساعدهم على ذلك جملة من الصحابة.

ج- تحريف التأريخ: دخل التحريف على التأريخ والسيرة وبشكل واضح في العصر الأموي، فتغيرت الأحداث ووضعت صور منحرفة لأشخاص لهم الفضل الكبير في دعم مسيرة الإسلام، بل تطاول بعضهم وتجاوز على شخص النبي صلى الله عليه وآله فأظهروه بصورة تجرده من قدسيته وتعظيمه، وتظهره بشكل هزيل وسلوك متناقض، كسماعه للغناء وسباقه النساء وعشقه زوجة مولاه وغيرها كثير، قبال تعظيم فلان وفلان وإعطائهم صفة القدسية التامة.

الثورة الإصلاحية:

عاش الإمام الصادق عليه السلام وسط معترك سياسي فكري يصحبه البطش الشديد مع ازدياد نقمة الناس على الحكام بصورة عامة مما أدى ذلك إلى ظهور الثورات والانتفاضات المتتالية والتي أدت إلى ضعف دولة الأمويين وسقوطها وظهور دولة بني العباس، وكان الإمام عليه السلام قد خط لنفسه طريقا ذا محورين، محور الدعوة الصامتة وا لمحور الإصلاحي وأمر شيعته بالعمل على هذين ا لمحورين:

الدعوة الصامتة: اتخذ الإمام الصادق عليه السلام طريق آبائه الكرام عليهم السلام في التعامل مع الأحداث فاتخذ مبدأ التقية بعد أن عرف بثاقب بصره وخبرته وهو ينظر إلى تلك الحوادث والثورات التي لا تؤدي إلى الغاية التي ينشدها ولا تحقق الأهداف المطلوبة

بـل فيها المزيد مـن التضحيات والتي لا يتـورع حكام بني أمية عن مقابلتها عن سفك الدماء.

ولعبـت النخبة الصالحـة من المؤمنين الـدور الفعال في عزل السلطان عن الأمة وبالتالي إضعافه وانهياره وكذلك نشر علوم وفكـر أهـل البيـت عليهم السلام وزرعها داخل المجتمـع، وكان الإمام عليه السلام يدير شـيعته وأتباعه وفق العمل دون القـول، وكانت توجيهاته عليه السلام مسـتمرة إلى جميـع المسـلمين مؤكـداً عليهـم الاهتمـام بالعمل كما في توجيهه لوفد الكوفة وكما ذكر في الرواية الآتية:

روي عـن أبي عبد الله جعفر بـن محمد الصادق عليه السلام أن نفراً أتوه من الكوفة من شيعته يسمعون منه، ويأخذون عنه، فأقاموا بالمدينـة مـا أمكنهم المقـام وهم يختلفون إليه ويـترددون عليه ويسمعون منه ويأخذون عنه، فلما حضرهم الانصراف ودّعوه، قـال لـه بعضهـم: أوصنا يا ابن رسـول الله صلى الله عليه وآله فقـال: أوصيكم بتقوى الله والعمل بطاعته واجتناب معاصيه وأداء الأمانة لمن ائتمنكم، وحسـن الصحبة لمن صحبتمـوه، وأن تكونوا لنا دعاة صامتين.

فقالوا: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، وكيف ندعو إليكم ونحن صموت.

قـال: تعملون ما أمرناكم به من العمل بطاعة الله، وتتناهون عمـا نهيناكـم عنـه مـن ارتـكاب محـارم الله وتعاملـون الناس بالصدق والعدل، وتؤدون الأمانة وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ولا يطلـع النـاس منكم إلا علـى خير، فـإذا رأوا ما أنتم عليـه قالـوا هؤلاء الفلانيـة، رحم الله فلان، ما كان أحسـن ما

يؤدب أصحابه، وعلموا فضل ما كان عندنا، فسارعوا إليه، أشهد على أبي محمد بن علي رضوان الله عليه ورحمته وبركاته، لقد سمعته يقول: كان أولياؤنا وشيعتنا فيما مضى خير مما كانوا فيه، إن كان إمام مسجد في الحي كان منهم، وإن كان مؤذن في القبيلة كان منهم، وإن كان صاحب وديعة كان منهم، وإن كان صاحب أمانة كان منهم، وإن كان عالم من الناس يقصدونه لدينهم ومصالح أمورهم كان منهم، فكونوا أنتم كذلك، حببونا إلى الناس ولا تبغضونا إليهم[1].

وهكذا وضع الإمام عليه السلام لشيعته قواعد عامة في الأخلاق وأثرها في المجتمع المسلم وغير المسلم مما يجعل المجتمع طبقة واحدة متراصة لا يميز فيها الغني عن الفقير والشريف عن الحقير، والطويل عن القصير والأحمر عن الأسود.

وكانت قواعده مبنية على مبدأ التقية باتخاذ الدعوة الصامتة التي تثبت عن طريق النخبة الصالحة وفي قبال ذلك كان ينهى عن التعاون مع الحكام والظلمة وعدم مخالطتهم والتولي لأعمالهم لأن في التعاون معهم تتسع دائرة استبدادهم ويكثر مناصروهم، وكان الإمام عليه السلام يرى أن انفصال الأمة عن الظالمين وعدم الركون إليهم يضيق دائرة الاستبداد ويرغم الولاة على النظر إلى الشعوب وتضطر إلى مراعاتهم في برامج حكوماتهم.

(١) دعائم الإسلام/ القاضي النعمان المغربي/ ج١ ص٥٧.

إن الإمام الصادق عليه السلام أراد من شيعته أن يحببوا أئمة الهدى عليهم السلام عند الناس حتى يكونوا القدوة والأسوة الحسنة وبذلك يحافظ على شيعته من غدر وجور السلطان الظالم.

كما أراد أن تكون الدعوة بالفعل والعمل لا باللسان، وهذا أبلغ تأثيراً في النفوس، وهكذا هي دعوات المصلحين تنطق أفعالهم دون أقوالهم وتترجم أعضاؤهم دون ألسنتهم، وإذا تكلموا تطابقت أقوالهم مع أفعالهم وعقدت القلوب بالألسن، فكان كلامهم أبلغ وعظاً وأقرب رشداً، اتخذوا كتاب الله نوراً.. إن الدعوة الصامتة التي دعا إليها الإمام عليه السلام ما هي إلا العمل بمبدأ التقية بعد أن شدد سلطان الجور على الإمام عليه السلام وشيعته خوفاً على ملكه وسلطانه وإذا احتمل السلطان في جماعة وظن خروجهم عليه، دفعهم ونكل بهم سواء كانوا موافقين له في المذهب أو مخالفين وإن لم يعتقد بهم خلافاً، خلاهم ومذهبهم.. ولذلك أمر الإمام الصادق عليه السلام شيعته باستعمال التقية وإظهار الطاعة.

وحاول الإمام الصادق عليه السلام أن يكون أساس الدعوة العمل الصالح والخلق الطيب فهي أنجع وسيلة لخوض معركة صامتة، تكافح الظالم بأنواعها كافة، وتقف إلى جانب المظلومين، ليظهر بذلك خطأ أولئك الذين اغتصبوا حقوق الأمة وترأسوا على المسلمين وقد انحرفوا عن مبادئ الإسلام وتعاليمه.

المصلح أو الداعية:

كان الإمام الصادق عليه السلام يؤكد على أن الدعوة الإصلاحية بالأقوال والمواعظ الخلقية والاجتماعية لا يتحقق أثرها إلا إذا كانت الأعمال مظاهر لها، وأن الاتصاف بتقوى الله واجتناب معاصيه ومعاملة الناس بخلق رفيع وعاطفة نبيلة وأداء الأمانة وحسن الصحبة وحسن الجوار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل صفة من صفات الخير، بالحق أن يكون صاحبها مقبولاً قوله، مؤثراً بدعوته لأنه يملك مشاعر أبناء جنسه، فهم يحبونه ويخلصون له بالمودة ويكفي في الحب من أثر في تغير الطباع في إتباع المحبوب، وأنه لا يتم إصلاح لأمة من الأمم أو لشعب من الشعوب إلا إذا فعمت القلوب حباً للمصلح وطاعة لأوامره، كما أن الاتصاف بالأخلاق الفاضلة والانتصار على النفس ما هو إلاّ خطوة نحو الثورة الشاملة لجلب قلوب الناس، لمن اتصف بتلك الصفات، وإن المرء إذا استطاع ضبط نفسه وتنظيمها لجدير بالناس أن تنقاد إلى دعوته، إذن إذا أراد المصلح أن يؤدي واجبه على الوجه المطلوب فلا بد أن يتصف بالصبر ومحامده ويتحمل الأذى وشدائده، فلا يبالي بما يلاقيه من أذى في سبيل أداء رسالته ونشر عقيدته وأن تكون له برسول الله صلى الله عليه وآله أسوة حسنة وكل هذا يتفرع عن الإيمان بالله والعمل بطاعته، فالعبرة بالاستقامة ظاهراً وباطناً وإتيان الأعمال الصالحة التي تعبر عن النية الصادقة والإيمان بما يعود على المجتمع بالسعادة في حسن المعاملة مع الناس.

ولا بد للدعوة الصامتة أن تنجح في مهمتها مراعاة النواحي التالية:

الناحية الاعتقادية: التي تقوم بإصلاح الروح وتقويمها ومن خلال القوة الروحية تصلح الأعمال، وهذه القوة تستمد قوتها من إدراكه بصلته بالله عز وجل وامتثال أوامره، وتلك القوة هي أعظم أثراً في قيام الإنسان بالعمل، وهذا الإدراك العقلي أو الشعور الوجداني بصلة الإنسان بالله يجعل الإنسان مدفوعاً إلى العمل بطاعته.

ناحية خلقه الفردي وتهذيب نفسه بالأخلاق الفاضلة والخصال الحميدة لأن بناء المجتمع الصالح إنما هو بصلاح أفراده وإعدادهم لأن يكونوا أعضاء صالحين وتزويد كل فرد منهم بما يجب عليه للأسرة وللمجتمع، فإذا صلح الفرد وتهذبت الأسرة صلحت الأمة واتجهت لسبيل الإصلاح.

الناحية الاجتماعية التي تنشأ عن مخالطة الناس ومعاشرته لهم من حسن الصحبة وحسن الجوار وأداء الأمانة وغيرها فإذا كملت في الشخص هذه النواحي الثلاث كان هو الإنسان الذي يستحق أن يدعُو إلى الخير والصلاح(١).

(١) أنظر الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة/ أسد حيدر ج٢ ص٣٠٠.

قبول الدعوة الصامتة:

انقسم الناس في تقبل الدعوة الإصلاحية التي جاء بها الإمام الصادق عليه السلام إلى ثلاث طوائف هي:

الطائفة الأولى: تقبل الدعوة وتناصرها ظاهراً وباطناً وتقدم التضحيات لأجل نجاحها وهم ذوو العقول الراجحة الذين لم تغرهم الدنيا بغرورها ولم ينجروا وراء العواطف والأوهام وهذه الطائفة هي القلة القليلة وعمد الحاكم الجائر ومن يواليه إلى تصفيتها والقضاء عليها.

الطائفة الثانية: معادية للدعوة ظاهراً وباطناً مع علمهم بوضوح أهدافها وصدق الداعي وظهور حجته وهم المعاندون، والمعاند لا يقنع بشيء لأنه لا يبطل حقاً ولا يحيد عن باطل، وإنما هو متعنت يخالف الواقع ويبتعد عن سنن الطريق الصحيح وذلك لخبث في نفسه وفساد في طويته.

الطائفة الثالثة: وهي الطائفة التي تعادي في الباطن وتناصر في الظاهر وهم المنافقون وهؤلاء أشد ضرراً على الدعوة من المعاندين لأنهم شاركوا الباقين في صفاتهم وزادهم صفات أخرى مثل الجبن وضعف القلب، فلا يصارحوا المصلح بأنهم أعداء ولا ينخرطوا في صفوف المؤمنين لخبث النفوس(١).

هناك ملاحظات حول الدعوة الصامتة نذكر منها ما يلي:

(١) راجع الإمام الصادق والمذاهب الأربعة/أسد حيدر/ ج٢ ص٣٠٥.

إن وصية الإمام الصادق عليه السلام (بأن نكون دعاة صامتين) لم يكن المقصود منه كون الداعي للعمل الصالح صامتاً مطلقاً لأن ذلك ينافي قوله تعالى: (تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)(١)، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكونان مع الصمت ولكن المقصود بأن يكون القول مقروناً بالعمل إذ هو بدونه سيكون لغواً، فجعل عليه السلام الدعوة بالعمل الصالح قبل الدعوة بالقول.

إن في الدعوة الإصلاحية ونجاحها يعني انتشار مبادئ الإسلام ونظمه وتعاليمه وفيها لم يبق للظالم طمع في الحكم، لذا فقد واجهت هذه الدعوة أقوى الحواجز والعراقيل دون تحقيق أهدافها فأثارت الفتن بين أفراد المجتمع، وأطلقوا لدعاتهم العنان بأن يعملوا بكل ما لديهم من قوة تعادي وتصد هذه الدعوة فانطلقوا في ساحات المجتمع الواسعة يساعدهم ما يملكون من سلطة وقوة مستغلين جهالة العامة والذين لم يتصلوا بأهل البيت عليهم السلام فنشأت حركات الغلو، والوقف، والإلحاد، والزندقة، وفرق أخرى.

المحور الإصلاحي:

عمل الإمام الصادق عليه السلام على جمع شيعته وأتباعه على قواعد المنهج الإسلامي الصحيح فاتخذ سبيل آبائه، إذ قام هو بدور المصلح الذي يحاول أن يعيد للأمة مجدها من خلال ترسيخ

(١) آل عمران/ آية ١١٠.

مبادئ الإسلام الصحيحة في المجتمع المسلم ونشر الوعي الإسلامي بما يجب على كل مسلم أن يقوم به في الإصلاح، فقام عليه السلام بمهمة التوجيه والإرشاد ليخلق الوعي بين صفوف الأمة وليحقق التكافل والتآخي وليقضي على رواسب الجاهلية والعصبية القبلية التي عملت على إحيائها السلطات الحاكمة وعلى ذلك نجح عمل التجمعات السرية المنظمة ضد الطغاة والحكام المستبدين، وارتفع مد النشاط السياسي فقامت الانتفاضات والثورات في أرجاء الدولة مما أدى إلى ضعف الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، إلا أن الإمام عليه السلام قام بعدة ثورات ضد الظلم والطغيان والانحراف وقادها بنفسه لكن ثورته لا كما يتوهم بها البعض.. لم تكن بقوة السلاح كغيرها من الثورات التي كانت تحدث هنا وهناك بين الحين والآخر، بل كانت بنشر الثقافة الإسلامية والدعوة إلى التحلي بالخلق الإسلامي الرفيع الذي يفرض على المسلمين اجتناب المعاصي والمنكرات والالتزام بحسن الصحبة والجوار والتعاون والصبر على المكاره والعمل على الخير للناس.

وكما هو معروف أن الثورة الفكرية هي الأساس والمنطلق لكل إصلاح يراد تحقيقه في كل مجتمع تلوث بالذنوب والمعاصي وتأتي معالجة ذلك في اقتفاء أثر المنهج الإسلامي الحقيقي الذي رسم جذوره القرآن الكريم كما جاء في الآية الشريفة (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)[1]، والتي رفعت شعاراً يغاير القيم

(١) الحجرات/ آية ١٣.

المرتبطة بالقبيلة والعشيرة، فليس هناك صلاح للنفوس الذي من خلاله تصلح الأفراد والأسر والمجتمعات إلا بالتقوى والإيمان المقترن بالشعور بالمسؤولية وصلاح العمل، وإن أي إصلاح في أي مجتمع لا يمكن أن يتم إلا بتغيير المعتقدات الفاسدة التي شاعت في ذلك المجتمع، فإذا لم يحصل التغيير الفكري لا يمكن توقع حصول إصلاحات جذرية في الجوانب العملية كما أن أصل جميع الإصلاحات الفردية والجماعية إنما هي بأعمال الفكر، فمادام تفكير الأمة في سبات فستكون هدفاً لسراق ولصوص الدين والإيمان والحرية والاستقلال، ولكن حين تصحو الأفكار فإنها ستقطع الطريق أمام هؤلاء[1].

لقد رسخ رسول الله الأمين صلى الله عليه وآله هذا المنهج حتى نضجت ثماره، وما أن فارق الرسول صلى الله عليه وآله الأمة حتى عاد الناس إلى تلك الأمراض التي كانت فيهم وساعد في ذلك أولئك الظلمة من الحكام والسلاطين.

وقد حفز الأئمة عليهم السلام الأمة إلى انتهاج النهج الصحيح الذي يوجه التفكير الصحيح نحو الإصلاح العام لها.

كما أن الإمام الصادق عليه السلام أراد من شيعته أن يكونوا مستعدين لإتمام البرامج الحياتية المختلفة، وعليه فإن التفكير يحتاج إلى استعداد قلبي لكي يوجد السبب والمحرك في الإنسان الذي يدفعه بالإرادة والتصميم إلى التفكير الذي يكون صادراً عن

(١) راجع الأمثل تفسير كتاب الله المنزل/ الشيخ ناصر مكارم الشيرازي/ ج١٣ ص٤٨٠.

هـذا الدافـع الذي لـه قيمة عاليـة، فالإخـلاص في العمل هو الأساس في النجاة والسعادة والبركة.

وكان بناء الشخصية لمثل هذه الأهداف يستلزم اتخاذ أفضل المناهج الأخلاقية والفكرية والاجتماعية أصالة وعمقاً، فلا بد مـن وجود رجـال مصممين ذوي إرادة أقوياء ذوي اسـتعداد تام وتفكير عميق حتى تتحقق مثل هذه الثورة الإصلاحية.

فكانـت ثـورة الإمام الصادق عليه السلام، ثورة إصـلاح وبناء النفوس ومـن ثـم بنـاء المجتمع الـذي يكون قـادراً على حمل الرسـالة الخالدة التي فيها ضمان سعادة الدارين.

لقد أسـهمت تلك الثورة الإصلاحية في نشر الوعي والثقافة الإسلامية والعمل بأحكام الكتاب العزيز وإقامة دراسات لعلوم مختلفة جعلت من الفرد المسـلم إنساناً يحب القيم الإنسانية منطلقـاً إلى الحريـة المطلقـة الـتي جعلتـه مبدعـاً في شـتى المجالات.

الخاتمة:

إن الإمام الصادق عليه السلام قضى نصف قرن من عمره الشريف في دولة الحكم الأموي وقد عاش خلالها أنواع الظلم وضروب المحن وجور الحكم في الرعية وتراكم المصائب على أهل بيت النبوة عليهم السلام حيث توالت عليهم الحوادث من قتل وتشريد وفرض مراقبة شديدة ومنع الأمة من الاتصال بهم وشاهد جده الإمام زين العابدين عليه السلام على فراش الموت متأثراً بالسم الذي دسه الأمويون له فقضى نحبه صلوات الله عليه سنة ٩٥ هجرية.

وكذلك شاهد أباه الإمام الباقر عليه السلام على فراش الموت ولفظ أنفاسه الأخيرة مسموماً على يد أولئك الطغاة سنة ١١٤ هجرية ووافاه نبأ عمه الشهيد زيد بن علي بن الحسين عليه السلام الثائر على الظلم والمنتصر للعدالة الضائعة التي غابت عن المجتمع الإسلامي بسبب تسلط حكام الجور وذلك سنة ١٢٣ هجرية ولم يمض وقت طويل حتى وافاه خبر مقتل الشهيد يحيى بن زيد بن علي عليه السلام.

وهكذا كان بعد الحين والآخر يقرع سمعه نبأ مفزع أو تبصر عيناه تلك الصور المروعة التي رسمها الطغاة في المجتمع المسلم وتعرض رجال بيت النبوة إلى أنواع الاضطهاد والتعذيب والتقتيل فقد صبغوا الأرض بدمائهم واهتزت بأجسادهم المشانق فضلاً عن الآلام التي كان يتحملها من جراء الانحراف

العقائدي والسياسي وابتعاد الأمة عن واقع الدين وابتعادهم من الناحية العملية عن الإسلام.

أما في حكومة بني العباس فقد عاش الإمام عليه السلام ما بين سنة (١٣٢-١٤٨) هجرية وتكاد هذه المدة أن تكون بدايتها خير عهد شهده الإمام عليه السلام من حيث الحرية الكاملة ورفع الرقابة، ولكن لم يطل الزمن حتى انقلبت الأمور وشدد الحاكم العباسي معاملته للإمام عليه السلام، ولما كثر الوشاة وكثرت تقاريرهم اليومية التي ترصد حركة الإمام الصادق عليه السلام، توعده الحاكم العباسي بسبب الاتهامات التي نسبت ولصقت به عليه السلام، فشهر الحاكم العباسي سيفه ظاهراً لتصفية العلويين بلا تردد وحياء، وقرر قتل الإمام غيلة وذلك بدس السم إليه عن طريق أعوانه وأذنابه من الحاقدين والناصبين العداء لأهل بيت النبوة عليهم السلام، وتم ذلك في شوال سنة ١٤٨ هجرية، حيث زلزلت المدينة المنورة لاستشهاده وخرجت الحشود المسلمة مفجوعة لتشييعه ودفنه في البقيع إلى جوار جده السجاد وعمه الحسن وأبيه محمد الباقر عليهم السلام وقام الإمام موسى الكاظم عليه السلام بتكفينه ودفنه.

ثم أن المنصور العباسي عندما بلغه خبر استشهاد الإمام الصادق عليه السلام بادر في الكتابة إلى واليه في المدينة وفيه: (إن كان أوصى إلى رجل بعينه فقدمه واضرب عنقه)[1]، فرجع ا الجواب إلى المنصور العباسي أنه قد أوصى إلى خمسة: أبي

(١) بحار الأنوار / الشيخ المجلسي / ج٤٧ص٧.

جعفر المنصور ومحمد بن سليمان [1] وابنيه موسى وعبد الله وزوجته حميدة.

فقال المنصور: ليس إلى قتل هؤلاء سبيل.

وأراد الإمام الصادق عليه السلام في وصيته أن يحفظ مقام الإمامة ويحفظ شخص الإمام الذي يليه من فتك السلطان ... وباستشهاده ثكلت الأمة وأفلت شمس المعارف والعلوم بأجمعها.

فسلام عليك سيدي يوم ولدت ويوم نصحت ويوم استشهدت ويوم تبعث حياً....

(١) والي المدينة

الفهرس

المقدمة ٣

الإمام الصادق عليه السلام ٤

الإمام الصادق عليه السلام مصلحاً ٥

صولات الإمام عليه السلام ٥

بناء القاعدة الصالحة ٦

دور الإمام الصادق عليه السلام في بناء هذه القاعدة ٨

دوافع الثورة الإصلاحية ٨

الثورة الإصلاحية ١٠

المصلح أو الداعية ١٤

قبول الدعوة الصامتة ١٦

المحور الإصلاحي ١٧

الخاتمة ٢١